شیخ الأباطح فی شعر الأوردبادی ـ قیس بهجت العطّار
فصلنامه تخصّصی مطالعات قرآن و حدیث **سفینه**
سال دوازدهم، شماره ۴۷ «ویژه حضرت ابوطالب علیه‌السلام»، تابستان ۱۳۹۴، ص ۱۰۷ـ ۱۱۹

شیخ الأباطح في شعر الأوردبادی

قیس بهجت العطّار *

چکیده: ایمان ابوطالب بن عبدالمطلب در شعر شاعران عربی‌سرا جلوه‌ای بارز داشته، از جمله اشعار میرزا محمد علی اوردبادی (۱۳۱۲–۱۳۸۰ قمری) که در این گفتار، نقد و بررسی شده است. نویسنده، چند قطعه شعر از دفتر شعر مخطوط اوردبادی برگزیده و به شرح درونمایهٔ آن از جنبه ادبی و محتوایی پرداخته است.

کلیدواژه‌ها: ابوطالب بن عبدالمطلب– ایمان؛ ابوطالب بن عبدالمطلب ° ادبیات عرب؛ اوردبادی، محمدعلی (۱۳۱۲–۱۳۸۰ق) ° دفتر شعر (مخطوط)؛ ادبیات عرب ° قرن چهاردهم.

---

*. مدرس دانشگاه.

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

وبعد، فإنّ من أشدّ وسائل التبليغ تأثيرا الشعر، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ من الشِّعرِ لَحِكَماً، وكان يضع لحسّان بن ثابت منبرا يقوم عليه فيهجو من هجا رسول الله صلى الله عليه وآله ... والحاجة تدعو لمعرفة اللغة والعربية والاستشهاد به في التفسير وتَعَرُّف معاني كلام الله تعالى وكلام رسوله، ويُستَدَلّ به أيضا على النسب والتاريخ وأيّام العرب، ويقال: الشعر ديوان العرب.[1]

قال العلّامة الأميني رحمه الله: وكان صلى الله عليه وآله يصوّر للشاعر جهاده وينصّ به ويقول: اهجوا بالشعر، إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفس محمّد بيده كأنّما تنضحونهم بالنبل، وفي لفظ آخر: فكأن ما ترمونهم به نضح النبل، وفي ثالث: والذي نفس محمّد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر.[2]

وعن عبدالله بن سلمة، قال: كنّا عند عمّار بن ياسر بصفّين وعنده شاعر ينشده هجاءً في معاوية وعمرو بن العاص، وعمّار يقول له: الصق بالعجوزَيْنِ، فقال له رجل: أيُقال الشعر عندكم ويُسبُّ أصحاب رسول الله ويُسبُّ أصحاب بدر؟! فقال له عمّار: إن شئت فاسمع وإن شئت فاذهب، فإنّ معاوية وعمرا قعدا بسبيل الله يصدّان عنه، فالله سابُّهما وكُلُّ مسلم، إنّه لما هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: قولوا لهم كما يقولون لكم، فإنْ كُنّا لنُعَلِّمه الإماء بالمدينة.[3]

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يشجّع الشعراء ويحثّهم على مقارعة شعراء الباطل من أتباع معاوية، فمن ذلك أنّ كعب بن جعيل التغلبي شاعر معاوية في صفّين قال قصيدة في ذمّ أهل العراق واتّهام أمير المؤمنين عليه السلام بدم عثمان، فدعا أميرُ المؤمنين قيسَ بن عمرو النجاشي وقال له: إنّ ابن جعيل شاعر أهل الشام، وأنت شاعر أهل العراق، فأجِبِ الرَّجُل.[4]

وكتب عمرو بن العاص كتابا فيه شعر إلى عبدالله بن العبّاس يحاول أن يستغويه ويفتله عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فَعَرَض ابنُ عبّاس الكتاب على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: يابن عبّاس

١. انظر: المغني، لابن قدامة ١٢: ٥٢-٥٣.

٢. الغدير ٢: ٧.

٣. أنساب الأشراف: ٣١٦ ح ٣٨٤.

٤. شرح نهج الحديدي ٣: ٨٩.

أَجِبْهُ، وليردَّ عليه شعرَه الفضل بن العبّاس فإنّه شاعر.[1]

وهكذا سار الأئمّة عليهم السلام بنفس هذه السيرة، فكان لكلٍّ منهم شاعر أو شاعران أو أكثر[2]، بل نُسبت نُسبت أشعار لكُلٍّ من الأئمّة عليهم السلام.

وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على شدّة اهتمام المعصومين عليهم السلام بالشعر الهادف والشعراء العقائديين، مقابل الحكومات الظالمة الغاصبة، التي كانت تُقَرِّب المتزلِّفين والإمَّعات وأبواق الشياطين، وتقتل وتسجن وتشرد كلّ من يمتّ لأهل البيت عليهم السلام بصلة.

ولم يحافظ العرب والمسلمون على شيء من الثقافة – بعد القرآن و الحديث النبوي– مثلما حافظوا على الشعر، الذي دوّنوا فيه وأثبتوا واقعهم ووقائعهم، ورصدوا الحقائق والأزياف، فكان الشعر معترك الأفكار، وساحة الصراع بين الحقّ والباطل.

وعند تلاقح الثقافات الذي اهتمّ به الإسلام غاية الاهتمام، دخل الشعراء الفرس والأتراك والهنود ووو ... في حلبة الصراع بين الحقّ والباطل، فراحوا يغرّدون ويهزجون ويَشْعَرون بألسنتهم تارة وباللسان العربي تارة أخرى، فشكَّلوا حالةً ضخمة فى الأدب العربي، وأسّسوا مدرسة عظيمة يحق لنا ولهم أن نفتخر ويفتخروا بها، وإن حاولَ النواصب والقوميّون طَمسَ معالمها، وتشويه كُلَّ محاسنها، وحَسبُك الحملة الشعواء التي شنَّوها على مهيار الديلمي الشاعر الفحل ورَمْيه بالشعوبية، وما للرجل من ذنب سوى ولائه لأهل البيت عليهم السلام وتبرّيه من أعدائهم.

لقد غَرَّد الكثير من الشعراء وانتشوا بمدائح أهل البيت عليهم السلام وهجاء أعدائهم منذ الصدر الأوّل وإلى اليوم، فجاءت أشعارهم سلاسل ذهبية في عِقْد الأدب الشيعي الزاهر.

وفي هذا المضمار نقف في هذه المقالة على نموذج رائع من التلاقح الفكري الشيعي بين العرب والفرس والأتراك، وذلك عِبْر تناول شخصيّة شيخ الأباطح أبيطالب بن عبد المطّلب العربي الهاشمي الصميم، من خلال شعر الشيخ الحجّة العلّامة محمّدعلي الأُوردبادي النجفي، التركي الأصل، الإيراني المولد والمنشأ، العربي الثقافة والمسلك والمنحى.

أبوطالب عليه السلام

فأمّا أبوطالب بن عبد المطّلب بن هاشم، فهو العَلَم الشامخ، وذو الشرف الباذخ، والموحِّد المؤمن، والمدافع عن رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته الغرّاء، وهو عمّ خاتم المرسلين، ووالد سيّد الوصيين، وهو غني عن التعريف.

---

١. وقعة صفّين: ٤١٢.

٢. انظر: *الفصول المهمّة*، لابن الصبّاغ المالكي: ١٥٣، ١٧١، ٢٠١، ٢١١، ٢٢٣، ٢٣٢، ٢٤٤، ٢٦٦، ٢٧٨، ٢٨٥.

وقد تتالت سهام الحقد من كلّ حدب وصوب من النواصب والقوميين على هذا الكوكب الزاهر والنجم اللائح لأنّه والدٌ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولأنّه تحمَّل أعباء الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الرسالة، ولأنّه قارَعَ عتاة قريش ورؤوس النفاق من أمثال أبي سفيان وأبي جهل وأضرابهما.

ولما لم يجدوا فيه مغمزا من حيث فخامة الشخصية، وشرف المحتد والموقف، راحوا ينفون عنه الإيمان، ويختلقون المختلفات، ويضعون بعض الأحاديث فى ذلك.

وهنا وقف الشعراء وقفة السدّ المنيع لبيان الحقيقة الناصعة، ودحض تلك الأباطيل، ورَحْض تلك المعرّات التي هي بأصحابها ألصق وأَليَق، فجاشت قرائحهم بقصائد خالدة في مدح شيخ الأباطح وبيان الوجه الناصع له.

وأقدم النصوص الشعرية في هذا المقام ما ورد من شعر عن أمير المؤمنين عليه السلام في رثاء أبيه أبي طالب، وقوله:

أبا طالبٍ عصمة المستجير ... وغيثَ المحُول ونُورَ الظُّلَمْ
لقد هدّ فَقْدُكَ أهل الحفاظ ... فصلّى عليك وليُّ النِّعَمْ
ولقّاك ربُّك رضوانه ... فقد كنت للمصطفى خيرَ عَمْ[1]

وقوله عليه السلام في مرثيّة ثانية:

أرقتُ لطير آخرَ الليل غَرَّدا ... يذكّرني شجوا عظيما مُجَدّدا
أبا طالب مأوى الصعاليك[2] ذا الندى ... وذا الحلم لا خِلْفاً ولم يكُ قُعْدَدا
فأمست قريش يفرحون لفقده ... ولست أرى حيّاً لشيءٍ مُخَلَّدا
أرادت أمورا زينتها حلومهم ... ستوردهم يوماً من الغيّ موردا
يُرَجُّونَ تكذيبَ النبي وقتلَه ... وأن يفتروا بَهْتاً عليه ومَجْحَدا
كذبتم وبيت الله حتّى نذيقكم ... صدورَ العوالي والصفيحَ المهنَّدا
فإمّا تبيدونا وإمّا نبيدكم ... وإمّا تروا سلم العشيرة أرشدا[3]

فهذا هو أمير المؤمنين عليه السلام في الشعر الأوّل يخاطب أباه أبا طالب ويمدحه مدحاً منقطع النظير،

١. انظر: *أنوار العقول من أشعار وصي الرسول*: ٣٦٣.
٢. الصعاليك: الفقراء.
٣. انظر: *أنوار العقول من أشعار وصي الرسول*: ١٩٤.

ويدعو له أن يصلّي عليه الله سبحانه وتعالى وأن يلقّيه الرضوان، وذلك لا يكون من الإمام أمير المؤمنين المعصوم إلّا لأنّ أبا طالب مُوَحِّدٌ مؤمنٌ مدافع عن حياض النبي والنبوّة.وها هوعليه السلام يأرق لوفاة أبيه ويتذكره ويذكره بأحسن الذِّكر، ثمّ يبين شماتة قريش وفرحها بموته لأنّهم بذلك يرجون تمكّنهم من تكذيب النبي وإبطال دعوته وقتله، وفي ذلك أدلُّ دليل على أنّ أبا طالب هو الذي كان حاميا وحافظا للنبي ودعوته وأنّه أحد أركان الدين وعمد المؤمنين.

وقد نظر أمير المؤمنينعليه السلام في قوله:

كذبتم وبيتِ الله حتّى نذيقكم ... صدورَ العوالي والحسامَ المهنّدا

فإمّا تبيدونا وإمّا نبيدكم ... وإمّا تروا سِلمَ العشيرة أرشدا

إلى قول أبيطالب يخاطب قريشا:

كذبتم وبيتِ الله نُبْزَى محمّداً ... ولما نطاعن دونه ونناضِلِ

ونسلمه حتّى نُصَرَّعَ حوله ... ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحلائِلِ

وهنا يتّضح التواصل بين الأب والابن، وتتجلّى مسيرة دفاعَ الأب عن النبي الموصولة بدفاع الابن عنه، وما بَغَّضَ علياً لقريش هو نفس الأمر الذي بَغَّضَ أبا طالب لهم.

وفي نص ثالث رثى أمير المؤمنينعليه السلام أبا طالب و خديجة معا، فقال:

أَعَيْنَيَّ جودا بارك الله فيكما ... على هالكَيْنِ لا تَرَى لهما مِثْلا

على سيّد البطحاء وابن رئيسها ... وسيّدة النسوان أوّل من صلّى[1]

لقد نصرا في الله دين محمّد ... على من بغى في الدين قد رعيا إلّا[2]

ومن الشعراء الخالدين الذين مدحوا أبا طالب ورثوه، الشيخ محمّدعلي الأُوردبادي النجفي.

الشيخ محمّدعلي الأوردبادي

علم من الأعلام، وفاضل في الطليعة من الفضلاء، وشاعر في الصدر من شعراء عصره، جمع بين الفقه و الأصول والتفسير والحديث والتاريخ والأدب، وحلّق في كلّ مجال من مجالات المعرفة والثقافة، وكان له كبير الأثر في وقته وإلى اليوم.

قال الشيخ عبّاس القمّي: العالم الفاضل، الأديب البارع، الشاعر المتبحر الخبير، الميرزا محمّدعلي الأُوردبادي النجفي دام علاه، رأيت بخطّه أنّه ولد في ٢١ رجب سنة ١٣١٢ ه، وأخذ العلم عن

---

١. أي من النساء.

٢. انظر: *أنوار العقول من أشعار وصي الرسول*: ٣٣٨. والإلّ: العَهد.

والده، ثمّ عن أساتذة العلم ... له تآليف ورسائل ومقالات كثيرة وأشعار جيّدة ... والأُوردبادي: نسبه إلى أُوردباد بلدة تقع فى الحدود بين اذربيجان وقوقاس قرب نهر أرس.[1]

وقال السيّد الأمين: الشيخ محمّدعلي بن محمّدقاسم[2] بن محمّدتقي بن محمّدقاسم الأوردبادي التبريزي النجفي، ولد في تبريز سنة ١٣١٠ ه.[3]

في *الطليعة*: قدم النجف بعد خمس سنوات من ولادته، وهو اليوم بها حيّ فاضل. اشتمل على فضل جمّ، وعلم غزير، وشارك في فنون مختلفة، إلى تقىً طارفٍ وتليد، وحسب موروث وجديد...[4]

وقال الخاقاني: هو الشيخ محمّدعلي ابن الشيخ أبي القاسم بن محمّدتقي بن محمّدقاسم الغروي الأُوردبادي، عالم جليل، وأديب معروف، وشاعر مقبول ... وقد أجازه فريق من أعلام المجتهدين إجازة الاجتهاد، أمثال الإمام النائيني، والشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي، والسيّد الميرزا علي الشيرازي، والسيّد حسن صدرالدين الكاظمي، والسيّد عبدالحسين شرف الدين، والشيخ محمّدرضا الإصبهاني، والشيخ محمّدباقر القائيني البيرجندي، وقد أجازه في رواية الحديث أكثر من ستّين عالما...

والمترجم له شخصيته علمية أدبية فذّة، طلعت في عالمها طلوع النجم المتوقد ... له نظم كثير ولكنّه لم يتعدّ حدود العقيدة...[5]

توفي رحمه الله سنة ١٣٨٠ ه. وله ديوان شعر سيطبع ضمن موسوعته في العتبة العبّاسية المقدّسة.

شعره في أبي طالب عليه السلام

لقد احتَلَّ أبو طالب مساحة واسعة من شعر الأُوردبادي، فعاش معه منذ صباه، فراح يقول فيه الشعر في شبابه:

قال الأُوردبادي: وقلت مادحا شيخ الأَمّة وأبا الأئمّة أبا طالب عليه السلام وهو من قديم شعري:

[من الوافر]

بمجدك من زعيم عُلاً ومَجدِ ... عدلتُ إليك عن سلمى ودَعْدِ

وفي طلل الأباطح منك سِرٌّ ... وقاني عن كثيب ديار هندِ

١. *الكنى والألقاب* ٢: ٢٠-٢١.

٢. كذا، والصواب انّ اسم أبيه الميرزا أبو القاسم.

٣. الصواب أنّ ولادته كانت سنة ١٣١٢ ه.

٤. *أعيان الشيعة* ٩: ٤٣٨.

٥. *شعراء الغري* ١٠: ٩٥-٩٧.

وأنشقني نسيم عُلاكَ عَرْفاً فأنساني شذا نفحاتِ وردِ

يقول فيها:

إمامٌ في الذُّؤابة من نزارٍ وحسبُ الفَخرِ من رَسْمٍ وَحَدِّ
فيوم الحرب تصطلم الأعادي وتحيي الوفدَ في الجُلّى بِرَفْدِ
كنجمٍ يُهتدى بهداه طوراً ويَهوِي تارةً رَجْماً لِرَدِّ
تشيم بوجهه أنوارَ قَدسٍ وتلمعُ وجنتاه كبَدرِ سعدِ
به أمّ القرى ترتاح بِشْراً بأكرمِ والدٍ لأعَزِّ وُلْدِ[١]

وفي هذه القصيدة تُلحَظُ الشاعرية المتفتّقة المعجبة بشخصية عظيمة فذّة، وليس فيها شيء من الشبهات ولا ردّها، وما فيها إلّا الإجلال والإكبار والإطراء، لكنّ الواضح فيها العناية بأدب الخطاب والكلام، والإلماح إلى المفاهيم العالية السامية، فهو يستعمل كلمة «إمام» في حقّ أبي طالب؛ إمّا استعمالا لغويّاً، وإمّا أن يكون ألمح إلى أنّه من أوصياء الفترة. ثمّ راح يشبّهه بالنجم الذي يُهتدى به في الظلمات؛ كما ورد هذا التشبيه لولده من الأئمّة المعصومين عليهم السلام في قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: مثلك ومثل الأئمّة من ولدك مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق، ومثلكم كمثل النجوم كلّما غاب نجم طلع نجم آخر إلى يوم القيامة[٢]، وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام: ألا إنّ مثل آل محمّد كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم.[٣]

ويؤيّد هذا الإلماح والإشعار في شعره قوله: به أمّ القرى ... إلخ، حيث جعل مكّة المكرّمة ترتاح بشراً بأبي طالب، ثمّ أوضح ذلك بقوله: بأكرمِ والدٍ لأعَزِّ وُلْدِ، فالشاعر هنا يشير إلى أنّهم نور واحد، وأنّ أبا طالب مصدر تلك الأنوار الإلهية للمعصومين، وذلك أخذاً من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله جلّ جلاله قبل أن يُخلق آدم بأربعة آلاف عام، فلمّا خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه، فلم يزل الله عزّ وجلّ ينقلبه من صلب إلى صلب حتّى أقرّه في صلب عبد المطّلب، ثمّ أخرجه من صلب عبد المطّلب فقسمه قسمين، فصيّر قسماً في صلب عبدالله، وقسما في صلب أبي طالب، فعلي منّي وأنا من علي ...[٤]

---

١. *دفتر الشعر*، مخطوط: ٢٩.
٢. *كمال الدين وتمام النعمة*: ٢٤١.
٣. *نهج البلاغة* ١: ١٩٤/ خ ١٠٠.
٤. *الخصال*: ٦٤٠ ح ١٦.

ويلاحظ هنا استعماله «الأباطح» جمعا، وسيأتي تكرارها، كما سيأتي استعمال «الأبطحين»، ولم يستعمل في شعره «الأبطح»، وذلك لما في التثنية والجمع من مبالغة، لأنّ كلّ جزء من التراب بمنزلة الأبطح، وهو مسيل واسع فيه رمل ودقاق الحصى. والأبطحان يكونان في جانبي مكّة، فيصحّ تثنيتهما على الحقيقة آو على المبالغة أيضا، فإنّ العرب إذا أرادت المبالغة والتكثير ثَنَّتْ وجَمَعَت. ومثل ذلك قيل أو يقال في قوله تعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِب)[1] و (رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ)[2] و (بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَ الْمَغارِب)[3].

وقال الأُوردبادي أيضا في مدح أبي طالب بيتين هما:

[من الوافر]

إلى شيخ الأباطح كُلُّ مدحي ومَن للمدح مثلُ أبي الأباطح؟

دعاه لحقّه فقَضَى ولَبَّى ونادى مَن عداهُ وقد أبى: طِحْ[4]

وهنا عبّر عن أبي طالب عليه السلام بـ «شيخ الأباطح» جمعاً، ثم عبّر عنه بـ «أبي الأباطح» جمعاً أيضا، وهذا كلّه لما في نفسه من إجلال وإعظام لشخصية أبي طالب. والتعبير بـ «أبي الأباطح» توسُّعٌ، إذ العرب توسَّعت في الكنى ما لم تتوسَّع في غيرها، فقالوا لآدم: أبو البشر، ولأمير المؤمنين عليه السلام: أبو تراب[5]، فكأنّ أبا طالب هو الأب والوالد للأباطح وأنّها لم تكن لولاه.

وفي هذين البيتين جناس مُرَكَّب بين «الأباطح» و «أبى طِحْ»، و «طِح» فعل أمر من طاح يطيح بمعنى سَقَطَ ووَقَعَ.

والضمير في «دعاه» يعود للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن لم يجر له ذكرٌ سابقا، وذلك لمعروفيته من خلال سياق الكلام، وهو مثل قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْناهُ في لَيْلَةِ الْقَدْر)[6]، فالضمير في (إِنَّا أَنْزَلْناهُ) يعود للقرآن وإن لم يجر له ذكر.

فالأُوردبادي هنا يصرح بأنّ النبي دعا عمّه أبا طالب لحقِّه، فقضى حقَّه ولَبَّى دعوته للإسلام،

---

١. الشعراء: ٢٨، المزّمّل: ٩.

٢. الرحمن: ١٧.

٣. المعارج: ٤٠.

٤. *الرياض الزاهرة*: ١٢٧ من المخطوطة.

٥. انظر: *المرصّع*، لابن الأثير: ٤٤-٤٥.

٦. القدر: ١.

ونادى مَن سواه – كأبي سفيان وأبي جهل والعاص وأضرابهم، حيث أَبَوا الدعوة وأرادوا إهلاك النبي– نادى: طِحْ، فشتّان بين من لبّى وأبى، وبين من قضى حقّ النبي– وهو أبو طالب – ومَن أراد إهلاك النبيﷺ، ففاعل «نادى» على هذا الوجه هو «من عداه».

ويحتمل أن يكون فاعل «نادى» رسول اللهﷺ، و «من عداه» مفعوله، ويكون المعنى: أنّ النبي نادى من عدا أبا طالب– إذ أبى ذلك الغير الدعوة– : طِح.

وعلى كلا الوجهين، يُبرِز الشاعر هنا إيمان أبي طالب، وكُفر من عداه من القرشيين، فهم أحقّ وأولى بالكفر والعذاب الأليم، فما أروع هذا الإبداع في بيتين من الشعر.

وله أيضا قصيدة حائية عامرة، قال: قلت مادحا شيخ الأباطح، منتجع الأمّة، وأبا الأئمّة، أبا طالب عليه السلام:

[من الوافر]

بشيخ الأبطحين فشا الصلاحُ ... وفي أنواره زهتِ البِطاحُ

براه الله للتوحيد عَضباً ... يلين به من الشرك الجِماحُ

وعمُّ المصطفى لولاه أضحى ... حِمَى الإسلام نهباً يُستباحُ

ويسترسل في مدحه إلى أن يعرِّج على ردّ الشبهات، فيَبرُزُ شاعرا عالما، ومادحا محقّقا، حيث يقول:

وصِفو القول أنّ أبا عليٍّ ... له الدين الأصيلُ ولابَراحُ

ولكن لابنهِ نصبوا عداء ... وما عن حيدرٍ فضلٌ يُزاحُ

فنالوا من أبيه وما المع ... لكلِّ مُحاوِلٍ قَصداً تُباحُ

وضوء البدر أبلج لا يُوارى ... وإن يك حولَه كَثُرَ النِّباحُ

«وهبني قلت إنّ الصبح ليل» ... فهل يخفى لذي العين الصباحُ

فدع بمتاهة التضليل قوماً ... بمُرتَبَكِ الهوى لهمُ التياحُ

فذا شيخ الأباطح في هداهُ ... تصافقه الإمامة والنجاحُ[1]

وهنا يلاحظ استعماله «الأبطحين» «البطاح» «الأباطح»، وفيها ما مرّ التنبيه عليه من التفخيم والتعظيم.

١. الرياض الزاهرة: ١٣٩ من المخطوطة.

ومطلع هذه القصيدة كمطالع فحول الشعراء، يدلّ بنفسه على محتوى القصيدة وقوّتها، وهو الأسلوب الحديث في مطالع القصائد الرائعة، فهو يحمل قوّة الشخصية «شيخ الأبطحين»، ووصفه بالصلاح الديني الذي هو خلاف الضلال والكفر إشارة إلى إيمانه الشخصي الذي يا: ينتشر منه الصلاح، كما يحمل معنى الأنوار الإلهية التي تحملها الشخصية الممدوحة والتي تزهو منها جميع البطاح والأراضي.

فهذا المطلع كمطلع عينية الجواهري فى الإمام الحسين عليه السلام:

فداء لمثواك من مضجعِ تنوَّر بالأبلج الأروعِ[١]

وكمطلع نونية الشيخ أحمد الوائلي في أمير المؤمنين عليه السلام:

غالى يسارٌ واستخفّ يمينُ بك يا لكنهك لا يكادُ يبينُ[٢]

وكغيرهما من مطالع فحول الشعراء.

ويكمل الشاعر مسيرة مطلعه فيتناول مسألةَ أنّ الله عزّ وجلّ خَلَق أبا طالب ليكون سيفا للتوحيد يدافع عنه ويكبح جِماح الشرك، فهو عمّ المصطفى الذي لولاه لاستبيح حمى الإسلام، فهو المدافع عن حمى الإسلام والحارس له، فيكون فوق الميول والشبهات.

وبعد إفاضة الشاعر بالمدح ينتقل إلى الأبيات التي ذكرناها، والتي تحمل معنى التحقيق، بل بعض العبارات المستخدمة في بيان خلاصة البحوث، وذلك عند قوله «وصِفو القول»، فهي عبارة يتداولها الكتّاب عند بيان النتيجة بعد النقض والإبرام.

وفي قوله: «إنّ أبا علي»، والعدول عن قوله: «أبا طالب» أو غيره من كناه الشريفة، إشارة وتمهيد لما سيقوله من بعد من بيان سبب التُّهم التي ألصقوها بأبي طالب وهو منها براء، فإنّ أبا أمير المؤمنين علي له الدين الأصيل الذي لا براح عنه، ولكنّ النواصب نصبوا العداء لابنه أمير المؤمنين عليه السلام، ولما لم يستطيعوا أن يجدوا فيه مهمزاً ولا مغمزاً – لأنّه مجمع الفضائل ولا يمكن إبعاد أي فضيلة عنه– راحوا ينالون من أبيه ويكيلون له التُّهَم جزافاً، ولكنّهم لم يوفقوا ولم يستطيعوا ذلك لأنّ المعالي تستعصي عن أن تُباح لمن يحاول النيل منها.

ثمّ انساب الشاعر في قوله:

وضوء البدر أبلج لا يُوارى وإن يك حولَه كَثُرَ النِّباحُ

١. *ديوان الجواهري* ٢: ٢٦٦.

٢. *ديوان الوائلي*: ٨٢.

ليستفيد من معنى المثَل المولّد: قد ينبحُ الكلبُ القَمَر، فليلقم النابحُ الحَجَرَ[١]، وهو مأخوذ من المثل: لا يضرّ السحابَ نباحُ الكلاب، المأخوذ من قول الفرزدق:

وقد ينبحُ الكلبُ السحابَ ودونه مهامِهُ تُعشِي نظرةَ المتَأمِّلِ[٢]

فإنّ نباح الكلب لا يضير ضياء القمر ولا يغطّيه ولا يستطيع حجب نوره، فكذلك أعداء أبي‌طالب لا يستطيعون بمفترياتهم وضجيجهم حجب الوجه القمريّ الناصع الوضاء لأبي طالب المؤمن المجاهد.

ثم يضمّن في البيت اللاحق صدر بيت للمتنبّي قاله، وهو قوله:

وهبني قلت هذا الصبح ليلٌ أيعمى العالَمونَ عن الضياء[٣]

فضمنّه قائلاً:

«وهبني قلت إنّ الصبح ليل» فهل يخفى لذي العين الصباحُ

وهذا يدلّ على تبحرّه في الشعر العربي، وسلامة ذوقه، وحسن تضمينه لشطر من شعر أكبر شعراء لغة العرب وهو المتنبّي.

ثمّ يختم قصيدته بالدعوة إلى ترك الضائعين في متاهة التضليل الذي يلتاحون في الهوى والضلال، وترك كلامهم، وذلك لأنّ «شيخ الأباطح» واضح الهدى، حيث تصافقه الإمامة والنجاح، أي أنّه يتّصف بالإمامة– كما أشرنا من قبل إلى معنييها– وبالنجاح، أو لعلّ الشاعر أراد أنّ هدى «شيخ الأباطح» صافقته وصادقته عليه الإمامة بمعنى كلمات الإمامة أي الأئمّة، كما يصدّقُه ويصافقه النجاح والإيمان الذي هو عليه.

ومن شدّة تعلّق الأُوردبادي بشيخ الأبطحين، تراه لا ينسى ذكره عند مدح أمير المؤمنين عليه السلام، فلا يفوته أن يعرّج على ذكره، وأنّ من المفاخر أن يكون لأمير المؤمنين أخٌ مثل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وأب مثل شيخ الأبطحين.

فمن قصيدة له عصماء قال: إنّه قالها في مدح الآية الكبرى والنبإ العظيم صاحب المحجّة اللائحة والصراط المستقيم أمير المؤمنين عليه السلام، يقول في مطلعها:

[من الكامل]

---

١. *يتيمة الدهر* ٢: ٢٨٢.

٢. انظر: *المستقصى في أمثال العرب* ٢: ٢٧٢، المثل ٩٤٣.

٣. *ديوان المتنبّي*: ٩٢.

مِدَحٌ تفانى دونها الأمَدُ ومناقبٌ لم يُحصِها عددُ

يقول فيها:

هذا أمير المؤمنين وذي غُرَرُ القوافي نحوه تَفِدُ

فأبوه شيخ الأبطحين وهل مثل النبيّ له أخٌ أحدٌ؟[1]

والبادي للعيان في قصائد الأُوردبادي في أبي طالب عليه السلام أنّه كرّس البحر الوافر ليفرغ أحاسيسه التي تجيش بصدره في قوالب شعريّة رنّانة، والبحر الوافر يمتاز بكثرة الحركات، وهو بحرٌ مَرِنٌ يمكنه أن يؤدّي أشدّ المعاني وأحمزها، لذلك كثر استعماله مُبدِعاً في الفخر والرثاء، وبما أنّ الأُوردبادي كان يفتخر بأبي طالب ويعدّد مآثره ومفاخره، لذلك أكثر من استعمال هذا البحر في مدح أبي طالب عليه السلام.

بقي عَلَيَّ أن أشير في ختام هذه المقالة إلى ما حدّثني به سماحة حجّة الإسلام والمسلمين السيّد مهدي الشيرازي حفيد الميرزا الشيرازي، وسبط العلّامة الأُوردبادي، حيث قال لي: إنّ جدّي الأُوردبادي لما رأى مظلومية أبي طالب وقلّة ما قيل فيه من الشعر العربي قياسا إلى ضخامة شخصيته، شمّر عن ساعد الجدّ، وكرَّس همّه وهمّته لقول الشعر في أبي طالب، واستنفار مشايخ الأدب والقريض في زمانه ليقولوا القصائد والروائع فيه، فوفّق لذلك بمقدار ما ساعفته به الظروف.

وأنا أدعو في ختام مقالتي هذه كلَّ الفضلاء والأدباء والشعراء إلى استجلاء وإجلاء معالم هذا الطود الشامخ والبحر الزاخر، كما أدعو الحوزات العلمية والجامعات والكلّيات إلى جمع شتات ما قيل فيه من الشعر والتوافر على دراستها في رسائل الماجستير والدكتوراه، لنقدّم للدنيا أطيب زاد ونريهم أرفع عماد من أعمدة الإسلام.

هذا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

۱. ملحق *الرياض الزاهرة*: ۱٤٥ من المخطوطة.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم.
نهج البلاغة، تحقيق وشرح محمّد عبده، قم، دار الذخائر، ١٤١٢ ه/ ١٣٧٠ ش.
١. *أنساب الأشراف*، أحمد بن يحيى البلاذرى، تحقيق الشيخ محمّد باقر المحمودى، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤ ه/ ١٩٧٤ م.
٢. *شرح نهج البلاغة*، ابن أبى الحديد، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٨ ه/ ١٩٥٩ م.
٣. *وقعة صفّين*، نصر بن مزاحم المنقرى، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٣٨٢ ه.
٤. *الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة*، ابن الصبّاغ المالكى، تحقيق سامى الغريرى، قم، دار الحديث، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ ه.
٥. *أنوار العقول من أشعار وصى الرسول*، قطب الدين البيهقى الكيدرى، دراسة وتحقيق كامل سلمان الجبوري، بيروت، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى، ١٤١٩ ه/ ١٩٩٩ م.
٦. *أعيان الشيعة*، السيد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، بيروت، دار التعارف.
٧. *شعراء الغرى*، على الخاقانى، قم، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ ه.
٨. *دفتر الشعر*، محمّدعلى الأوردوبادى، مخطوط.
٩. *كمال الدين وتمام النعمة*، الشيخ الصدوق، تحقيق وتعليق على أكبر الغفارى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٥ ه/ ١٣٦٣ ش.
١٠. *الخصال*، الشيخ الصدوق، تحقيق وتعليق على أكبر الغفارى، قم، منشورات جماعة المدرسين، ١٤٠٣ ه/ ١٣٦٢ ش.
١١. *الرياض الزاهرة*، محمّدعلى الأوردوبادى، مخطوط.
١٢. *المرصّع فى الآباء والأمّهات والبنين والبنات والأذواء والذوات*، ابن الأثير، تحقيق إبراهيم السامرائى، بغداد، مطبعة إرشاد، ١٣٩١ ه/ ١٩٧١ م.
١٣. *ديوان الجواهرى*، بيروت، دار العودة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٢ م.
١٤. *ديوان شعر الدكتور الشيخ أحمد الوائلى*، شرح وتدقيق سمير شيخ الأرض، بيروت، مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى، ١٤٢٨ ه/ ٢٠٠٧ م.
١٥. *يتيمة الدهر*، أبو منصور الثعالبى، شرح وتحقيق مفيد محمد قمحية، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ ه/ ١٩٨٣ م.
١٦. *المستقصى فى أمثال العرب*، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٩٨٧ م.
١٧. *ديوان أبى الطيّب المتنبّى*، تصحيح عبد الوهاب عزّام، بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٨ ه/ ١٩٧٨ م.
١٨. *ملحق الرياض الزاهرة*، محمّدعلى الأوردوبادى، مخطوط.
١٩. *الغدير*، عبد الحسين الأمينى، بيروت، دار الكتاب العربى، الطبعة الرابعة، ١٣٩٧ ه/ ١٩٧٧ م.
٢٠. *الكنى والألقاب*، الشيخ عباس القمى، طهران، مكتبة الصدر.
٢١. *المغنى*، عبد الله بن قدامة، بيروت، دار الكتاب العربى للنشر والتوزيع.